مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 12 / العـــدد: 02 (2022)، ص 430-442

لسانيات النص والمصطلح بين التعددية والاختلاف

The text linguistics and the term betwee the pluralism and the difference

حليمة السعدية أنساعد*
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
مخبر الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر
جامعة مستغانم
halima.ensaad.etu@univ-mosta.dz

أ.د. حسين بن عائشة
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
hocine.benaicha@univ mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/13 تاريخ القبول: 2022/11/08

ملخص: لا شك أن الخوض في أي علم أو حقل معرفي جديد مهما كان نوعه يقتضي منا أولا وقبل كل شيء الوقوف على جهازه المفاهيمي والمصطلحي لمعرفته ومعرفة الحدود الفاصلة بينه وبين مختلف العلوم والمعارف، ولأن حقل لسانيات النص حقل غربي غريب على لغتنا وثقافتنا، ومع الوفرة التي تشهدها المصطلحات التي وضعها العرب كمقابل للمصطلحات الأجنبية وتعددها، خاصة فيما تعلق بمصطلح تسمية العلم حيث أصبح القارئ العربي يقف في الكتابات اللسانية النصية العربية على ثلاثة اتجاهات أساسية متباينة المصطلحات هي: علم النص، نحو النص(أجرومية النص)، ولسانيات النص (علم لغة النص، علم اللغة النصي..)، منهم من يتعامل معها على أنها مترادفات لمعنى واحد، ومنهم من يفرق بينها، سنحاول في هذه الورقة البحثية جمع مختلف الفروق بقراءة في الكتب المتخصصة التي تناولت هذه التوجهات والمصطلحات لرفع اللبس لدى القارئ العربي.

الكلمات المتاحية: لسانيات النص، علم النص، نحو النص، المصطلح، المفهوم.

Abstract: Without doubt that engaging in any knowledge or a new field of knowledge whatever is its type. First, this requires from us and foremost to stand on its conceptual and terminological system and to now it and its bounderies separating it from the different sciences and acquaintances. So because the text linguistics is western foreign from our language and culture

With the abundance which is witnessed by the terminology put by the Arabs in return for the foreign terminology and and its multiplicity especially, those relating to the term of science where the Arabic reader becomes standing script linguistics on theree main disparate directions the terms are: (the science of text, the text grammar, text linguistics) among they whow deal with it as synonyms for one meaning, others who differentiate between it. We Will try on this research paper to collect the various differences by reading specialized books that dealt with this trends and terminology to raise the confusion for the Arabic reader.

Keywords: text linguistics, text science, text grammar, term, concept.

* حليمة السعدية أنساعد: halima.ensaad.etu@univ-mosta.dz

1. **مقدمة:**

يعد حقل لسانيات النص من العلوم الحديثة الظهور، والذي شهد كما هائلا من المفاهيم والمصطلحات والتصورات النظرية ولعل خير دليل على التعدد المصطلحي في هذا العلم هو أصل مفهوم لسانيات النص الذي تعددت التسميات والمصطلحات التي وضعت للتعبير عنه ولم تستقر على تسمية معينة، ومن هذه التسميات: نحو النص، علم لغة النص، نظرية النص، لغويات النص، علم اللغة النصي، التحليل اللساني النصي، لسانيات نصية، علم البرجماتية... والمتتبع لكتابات الباحثين العرب في هذا الحقل يقف على اتجاهات ثلاثة اختلفت مصطلحاتها وتباينت مما دفعنا لطرح الإشكال الآتي: ماهي هذه الاتجاهات؟ وما طبيعة العلاقة بينها؟ وهل هي متباينة المصطلحات أم المفاهيم والتصورات أيضا؟

2. نحو النص (Text Grammar): عكفت الدراسات اللغوية منذ القدم على دراسة الجملة من حيث بنيتها ونحويتها وقواعدها، ووقف النحو التقليدي عند حدودها، باعتبارها الوحدة اللغوية الأساسية والكبرى القابلة للتحليل اللساني والوصف النحوي، وضلت كذلك طيلة النصف الأول من القرن العشرين، "ويمكن القول بشكل عام أنّه إلى منتصف الستينات كانت الجملة هي التي ينظر إليها مطلقا على أنّها الوحدة الأساسية في علم اللغة، وأكبر ما يحاط به، وهي من ثم وحدة قابلة للدراسة اللغوية. ويبدو هذا الموقف الأساسي لعلم اللغة الجملي في أجلى صوره في تعريف (Bloomfield) بلومفيد للجملة تعريفا شكليا صارما: "الجملة شكل لغوي مستقل، لا يدخل ـعن طريق أي تركيب نحوي ـ في شكل لغوي أكبر".[1]

وكانت الجملة هي مدار دراسة تشومسكي والمحور الأساس الذي قامت عليه النظرية التوليدية التحويلية، في كل مراحلها حتى أنه عرف اللغة في كتابه "البنى التركيبية" 1957م بأنها: "مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل. كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر."[2]

ثم عرف الدرس اللساني بعدها تحولات كبرى، كان الدافع الأكبر لها هو البحث عن وحدة أكبر من الجملة، تفي كل حدود البحث اللساني مما أنتج في نهاية المطاف اتجاها جديدا هو "نحو النص"، وهو حقل معرفي جديد جعل من النص موضوعه الأساسي والشرعي، ومن هنا بدأت تظهر المزالق التي وقعت فيها الدراسات النحوية واللسانية السابقة، المحصورة في نطاق الجملة وأهمها أن الجملة لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، من حيث الدلالة والتداول والسياق الثقافي العام، و لم ينشأ هذا الحقل المعرفي من فراغ وإنما كان قائما أساسا على نحو الجملة وامتدادا لها. كان الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص ضرورة ملحة، دعت إليها التطورات اللسانية واتساع دائرة البحث اللساني، ولتجاوز بعض الصعوبات التي واجهت نحو الجملة، ومن جملة الأسباب التي دعت لهذا التجاوز:

1- قصر نحو الجملة على الإحاطة بكل أبعاد الظاهرة اللغوية، على عكس نحو النص الذي "يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدِّم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها. وبعبارة موجزة

قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة."[3] بالإضافة إلى أن بعض "الوحدات اللّغوية، مثل الضمائر والرّوابط وأزمنة الفعل، لا يمكن دراستها والوقوف على كيفية أدائها لوظائفها، إذا وقفنا بالدّراسة عند حدود الجملة."[4]

2- استقلال النحو عن رعاية المواقف اللغوية. ومعنى ذلك أن نحو الجملة يقوم بدراسة الجمل معزولة عن سياقها.[5]

3- الاقتصار على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة دون تجاوزها إلا عند إرادة معنى الإضراب أو الاستدراك أو غير ذلك من الدلالات التي يمكن أن تربط بين جملتين مثل التعليل أو الشرط أو ما شابه ذلك من الدلالات، أما نحو النص، فالأصل فيه أن يكون ميدانه النص كاملا دون تجزئته، ومن هنا كانت أهم ملامحه هي دراسة العلاقات بين أجزاء النص كاملا[6].

4- تغير الدرس اللساني في نظرته إلى اللغة. وذلك للإحساس الطاغي بالوظيفة الاجتماعية للغة، وإلى ضرورة وجود الدور التواصلي الذي يعده علماء اللسانيات جوهر العمليات الاجتماعية، تلك الوظيفة الاجتماعية، وهذا الدور التواصلي للغة يفسحان الطريق للنحو أن يتسع مفهومه، ليصبح مكونا من مكونات نظرية شاملة، تفسر السلوك الإنساني، وهذا لا يتم إلا من خلال نص مرتبط بسياق تواصلي وليس من خلال جملة.[7]

5- إضافة إلى عجز (نحو الجملة) عن تفسير طبيعة العلاقة النحوية الدلالية التي تربط بين أجزاء النص وعلى رأسها ظاهرة الإحالة، وأنماط التنصيص ووسائله، واختيار الأداة، والإضمار، والبدائل الظرفية، والتأكيد، والتقابل، والتتابع الزمني، وخواص إحالة الأسماء، والعلاقات السببية بين جمل متراصة بلا رابط، وغير ذلك من الوقائع اللغوية التي يقصر عن أن يفسرها النحو الذي ظل محيطه في الوصف مقتصرا على مجالات الجملة[8].

كل هذه الأسباب جعلت النظرة إلى اللغة ووظيفتها تتغير وتخرج عن دائرة الاهتمام بالجملة، وجعلها الوحدة الكبرى والأساسية القابلة للوصف والتحليل، إلى فضاء أوسع وأرحب وأخصب في محاورة العمل الأدبي إلى "النص" بمختلف جوانبه وأبعاده. وذلك انطلاقا من الحجة القائلة بأن "التواصل أو التفاعل بين المتكلمين لا يتم باستعمال كلمات معزولة. وليس أيضا باستعمال جمل أو عبارات. وإنّما يتأتى ذلك من خلال إنجازات كلامية أوسع وأكبر ممثلة في الخطاب أو النص."[9]

كان هذا الاتجاه أول مرحلة من مراحل الانتقال من محدودية الجملة إلى فسحة النص، تمثل محاولة Z.S. (HARRIS) هاريس أول معالم الطريق في هذا الاتجاه في "مقال رائد صدر أول ما صدر سنة 1952م وترجم إلى الفرنسية سنة 1969م وجاء تحت عنوان "تحليل الخطاب" وهو عنوان ينطوي على طموح كبير لم يحققه متنه

ولم يتحول صاحبه إلى مؤسس فعلي لتحليل الخطاب رغم أنه أول من جرت هذه العبارة على قلمه. وعلة ذلك تشبثه باللسانيات الوصفية وبالطرائق التوزيعية في تحليل الجملة تحديدا. فكان عمله مجرد توسيع تلك الطرائق لكي تعتمد في تحليل وحدات تتعدى حدود الجملة (Unites transphrastiques)."[10] وإن لم يسمي دراسته بنحو النص واستعان بمصطلح "تحليل الخطاب" إلا أن دراسته لم تتجاوز مستوى الجملة في نظرته للخطاب على أنه "متتاليه من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلها في مجال لساني محض."[11]، بعدها بدأت تظهر في النصف الثاني للستينات أولى المحاولات للانتقال من التحليل "المقصور على الجملة إلى تحليل أزواج الجمل، وكان لهذا صلة على الأقل بمفهوم الجملة المسلم به في النحو التوليدي التحويلي، فقد اجتهد (E,K Heidolph) هالدولف 1966م في استنباط قواعد العلاقات السياقية للجمل في نحو توليدي، كما كان إيزنبرج 1968م أول من حاول أن يطور نحوا شاملا للنص، وبذلك اتسعت القواعد التوليدية المستخدمة في النحو التوليدي لإنشاء الجمل، لتشمل "قاعدة النص" التي يمكن بها أن توسع الجمل المفردة في النص"[12] تأسست جهود هؤلاء على النظرة إلى النص على أنه مجموعة من الجمل المترابطة، وكأن النص في تقديرهم جملة كبرى، كما تعد محاولة (Harald Weinrich) فايرينش 1968م أول محاولة "جادة لوصف التنظيم الذاتي، الداخلي للنصوص، من خلال الحديث على بعض العلاقات التي تسودها مثل علاقة الإحالة، والاستبدال، التي فصل فيها القول مشيرا إلى التكرار والحذف والترادف والعطف و التفريغ والترتيب، وذكر النتيجة والسبب، والجزء بعد الكل أو العكس، وهذا كله، مما يقع في دائرة الترابط، والاتساق الداخلي النص"،[13] تبنى فيه نفس النظرة .

ثم عرف هذا النحو نموذجا آخر في السبعينيات، وضع بواسطة (Petofi) بيتوفي (1971م) (Rieser) ريزر (1973-1978م) (van dijk) فانديك (1972م)، (Ihwe) وإيهوه (1971-1972) انطلق من أن "يمد مفهوم البنية العميقة (للجملة) المطور في إطار القواعد التوليدية التحويلية أيضا إلى الوحدات اللغوية المعقدة المنطلق من مواقع الدلالة التوليدية في إطار "البنية العميقة للنص (textual deep structure) وتم تطويره على مراحل، انطلاقا من فرضية أن المرء يستطيع من "قاعدة دلالية" (مجموعة من أبنية – الخبر – الحجة المدروسة بوسائل المنطق الصوري) قياسا على الجمل أن يطور أيضا نموذجا صالحا للنص، وأن يشتق قواعد تكوينها بشكل نسقي. فقد طالب فانديك مثلا في هذا الإطار بوجوب كون قواعد النص التوليدية التحويلية قادرة على ملاحظة إعادة البناء الشكلية للثروة اللغوية لدى مستخدم اللغة، وعلى إنتاج عدد غير محدود من النصوص."[14] بتوفي قد حاول أن يسخر مكونات النحو التحويلي وتصوراته في نظرية نصية، غير أنه وجد أن ذلك التفسير الدلالي ينشأ أصلا في نظرية تشومسكي، حتى صورتها الأخيرة، عن المكون النحوي ، فهو المكون النحوي الأساسي الذي يربط بين المكونين الصوتي والدلالي، حيث يتمثل الأول في الصورة المنطوقة للجملة، ويتمثل الثاني في العميقة لها، ولكن يظل لهذا المكون الدور الرئيسي؛ لأن نظريته – كما قال مرارا – هي نظرية نحوية في المقام الأول. وفيها يتولد التركيب

النحوي أولا ثم يتم "تفسير دلالي"، من خلال المكون الدلالي، خلاقا لنظرية الدلالة التوليدية، حيث يكون تركيب بنية الأساس تمثيلا للمعنى، ثم يتولد فيما بعد الشكل الصيغة النحوي.[15]

عرف هذا المنظور تطورا بارزا مع الباحث الهولندي(van dijk) فانديك الذي أولى عناية كافية به وقدم بحوثا قيمة عن تحليل النصوص عمق فيها بدرجة كبيرة تصورات تشومسكي ومفاهيمه فاشتهر بالبنية الكبرى والصغرى، والقواعد الكلية والجزئية للنصوص... فركز على "نحو النص التوليدي" ليصبح فيما بعد موضوعا لرسالته للدكتوراه وهو ما أعرب عنه الباحث في سيرته الذاتية التي ترجمها أحمد صديق الواحي، وعن عشقه لنحو النص وتأثره بالنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي، غير أن الهدف من نماذج "نحو النص" حسبه هو أن تمكننا من " تقديم وصف واضح للبني (النحوية) للنصوص. وكانت أوضح مهمة من مهام مثل ذلك الوصف في تفسير علاقات الترابط (الدلالي) بين الجمل، وذلك ضمن جوانب أساسية أخرى للخطاب. ورغم أن نماذج نحو الجملة مطلوب منها أيضا أن تبين لنا بشكل صريح كيف ترتبط الجمل المركبة ببعضها البعض دلاليا، فلم تكن لدينا وقتها أية أبحاث جدية يمكن التوسع فيها لتتحول إلى دراسات دلالية خطية (تتابعية) للخطاب."[16]

برز هذا الاتجاه أيضا في أعمال كل من هاليداي ورقية حسن بكتابهما الموسوم ب (Cohesion in English) أو الاتساق في اللغة الإنجليزية (الصادر سنة (1976م)، ذهب الباحثان إلى أن "كل متتالية من الجمل تشكل نصا شريطة أن يكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة. ويسمي الباحثان تعلق عنصر بما يسبقه (علاقة قبلية)، وتعلقه بما يلحقه (علاقة بعدية)".[17] قامت دراستهما على دراسة أدوات الاتساق، التي اعتبر الباحثان أنها مجموعة الخصائص التي تميز النص عن متتالية من الجمل، فلم تخرج دراستهما عن المستوى النحوي التركيبي للنص وعن الهدف الرئيسي لاتجاه نحو النص.

لم ينشأ هذا النحو من فراغ وإنّما كان قائما أساسا على نحو الجملة وامتدادا لها، وعليه فإن الصلة بين نحو الجملة ونحو النص "وثيقة إلى الحد الذي لم تنجح معه كل محاولات التمييز بينهما، إلا أن ذلك لا يعني الإخفاق في وضع تصورات واضحة عن مهام نحو النص، ويرى (Van Dijk) فنديك مثلا أن نحو الجملة يشكل جزء (كما) غير قليل من نحو النص، وتعد أهم مهمة لنحو النص هي صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية. ويجب أن يعد مثل ذلك النحو النصي إعادة بناء شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة في انتاج عدد لانهائي من النصوص."[18]

كما عني نحو النص بدراسة ظواهر تركيبية نحوية ونصية مختلفة، منها: "علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية".[19] غير أن هذا نحو النص لا

يلغي نحو الجملة ولكن التطورات اللسانية استلزمت البحث في وحدة أكبر من الجملة أي الجملة في علاقاتها مع الجمل الأخرى المكونة للنص، من منطلق أن الفهم الحق للظاهرة اللسانية "يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجتزاء الجمل والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى كما ظهر في اللسانيات البلومفيلدية أول أمرها. ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمراً متوقعا، واتجاها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث. إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة؛ لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب جملا أو تتابعا من الجمل، ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين."[20] ورغم هذا الترابط بين كلا النحوين إلا أنه" يراد من نحو النص تحقيق هدف جديد يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص، ويلاحظ هنا أيضا أن النحو الواصف نحو مشتق من النحو التحويلي التوليدي متضمنا الدلالة التوليدية، ولكنه يتسم بعناصر أكثر تجريدا وأكثر التصاقا بمعارف وتصورات غير لغوية تسهم بدور فعال في سياق الإدراك. ففي كل الأنحاء السابقة على نحو النص وصف للأبنية اللغوية، ولكن غياب الجوانب الدلالية والتواصلية."[21]

نخلص إلى أن هذا المنهج الجديد من التحليل جاء ليسد العجز الذي عان منه النحو لقرون طويلة، ويتدارك النقائص فأخرج الدراسات النحوية من إطار الجملة الضيقة ليعانق إطارا أوسع من الجمل والفقرات والنصوص، ويقف على العلاقات والقواعد النحوية والتركيبية والدلالية التي تربط بينها وتجعل منها كلا موحدا، لأننا حين نتواصل لا نتواصل بجمل منعزلة بل بحوارات ونصوص طويلة، غير أن هذا الاتجاه لم يخرج عن البنيات الداخلية للنصوص. فسرعان ما تنازل عن مكانته التي حظي بها في أول نشأته لعجزه عن مواكبة التطورات المتلاحقة لتحليل النصوص والخطابات وانحصارها في الحانب النحوي التركيبي.

3. لسانيات النص(Text Linguistics) : لقد أخذت الدراسات النصية بعدا آخر خرج بها من إطار بنية النص الداخلية لتتعالق مع مجموعة من العلوم القريبة منها كعلم الاتصال وعلم النفس المعرفي والادراكي مع اتجاه جديد عرف ب"لسانيات النص" وهو اتجاه أخرج الدراسات اللسانية من بوتقة التحليل الجملي إلى فضاء أوسع هو الفضاء النصي، تقول خولة طالب ابراهيمي في هذا الصدد:" هذا هو في نظرنا التحول الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة في الدراسات اللسانية لأنه أخرجها نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبة التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنيوي والدلالي والتداولي."[22]

من هنا جاءت اللسانيات النصية تجاوزا للدراسات اللسانية الجملية بمختلف توجهاتها، وهذه النقلة النوعية من نحو الجملة إلى لسانيات النص لم تكن نقلة اعتباطية أو تحولا طفيفا في اسم العلم أو موضوعه، إنما انتقال في المنهج وأدواته وإجراءاته وأهدافه ومقولاته التأسيسية.

تغيرت في هذه المرحلة النظرة للنصوص وبنياتها وطرق تحليلها ف "لم يعد النص نفسه وبناؤه النحوي أو الدلالي الآن نقطة الارتكاز في دراسات لسانيات النص، بل الممارسات الاتصالية العملية التي تؤسس النص، حيث تكون هذه بالطبع ... قابلة للتوضيح فقط بواسطة سياقات مجتمعية واجتماعية شاملة. لم تعد النصوص

مهمة فقط بوصفها إنتاجا منتهيا ...، مما يمكن تحليله نحويا أو دلاليا، بل أصبحت تفحص بوصفها عناصر أحداث عامة، أو أدوات لتحقيق حدس معين للمتكلم من ناحية اتصالية واجتماعية".[23] نحا أصحابه نحوا مختلفا في التعامل مع الظاهرة النصية، "فأنكروا أن يختزل النص في سلسلة من الجمل (Suite de phrases) ، ورفضوا أن يبقى موضوع دراسته مقتصرا على استخلاص نحوه وطرائق تتابع جمله وما يقوم بين تلك الجمل من علاقات شكلية ، كما عدلوا عن القول بأن النص وحدة نحوية ينتظم عناصرها نسق واحد لا تخرج عنه سائر النصوص مهما اختلفت أجناسها وتنوعت مسالك العبارة فيها، إلى اعتباره يشكل وحدة من جنس آخر قوامها اتساق(Cohesion) يجعل النص بمثابة النسيج الذي تضم خيوطه بعضها إلى بعض بفضل ظواهر لسانية متعددة كالإعادة والإحالة والاستبدال، بها تأتلف جمل النص ومركباته، ويأخذ بعضها برقاب بعض، مما يكسب النص سمتي التطور والتواصل في آن معا"[24]، كانت أول خطوة بارزة من خطوات الانتقال إلى مستوى أكبر من الجملة في هذا الاتجاه على يد (Benveniste) بنفيست، الذي "دعا صراحة إلى ضرورة تجاوز تصور سوسير للسان كعلامات وفتح الباب أمام اتجاهات جديدة للبحث اللساني، تُمكِّن من معانقة مجالات بين لغوية (intralinguistique) تكون أرحب من الجملة ذاتها مثل الخطاب وصولا لمجال عبر لغوي (translinguistique) يسمح بالوقوف على النصوص في كليتها وشموليتها[25]" بنظريته التي أحدثت جدلا واسعا أوساط الباحثين والتي عرفت بنظرية التلفظ أو لسانيات التلفظ أو الملفوظية (linguistique de l'énonciation)، وهي "دراسة اللغة من خلال تمظهرها في الملفوظات على اعتبار هذه الأخيرة الصورة الطبيعية للغة. فليست الملفوظية على هذا فرعا من اللسانيات بالمفهوم المتعارف للفروع المعرفية، إنما هي نموذج جديد للسانيات يحاول استغراق ما سبق من المعارف اللغوية مع مراجعتها في ضوء الموضوعية التي تتجه إلى وصف اللغة في صورتها الخام كما هي في إطار التواصل[26]." انطلق هذا الباحث الفرنسي الذي كان لنظريته بالغ الأثر في الدراسات اللسانية أساسا من أن " اللغة طاقة مجردة كامنة في ذهن الفرد بالقوة، وهذه الطاقة لا تتحول إلى كلام حقيقي إلى بواسطة عملية القول، وهذه إشارة واضحة وصريحة إلى تركيزه على الجانب الشفاهي للغة، أو ما يسمى بعملية التخاطب أو الكلام الذي كان محط اهتمام كثير من الدارسين الذين قلبوا تصور دي سوسير من خلال تجاوزهم ثنائيته المشهورة (اللغة والكلام) والتي أقصت الكلام من مجال الدراسة".[27] بمعنى أن هذه النظرية لم تهتم باللغة "باعتبرها مظهرا اجتماعيا ثابتا، بل اهتمت بالملفوظ وعملية التلفظ أي: بالكلام بدل اللغة. ومن ثم، ربطه بالسياق الاجتماعي."[28]

من هنا فالأساس في الخطاب عنده هو التواصل حيث نجده يقيم مع العديد من اللسانيين الغربيين مفهوم التلفظ (Enonciation)، وهو يعني الفعل الذاتي في استعمال اللغة....والذي يتيح دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة، ليصل إلى أن موضوع الدراسة التلفظ وليس الملفوظ[29]. وانطلاقا من هذا التحديد يعرف (Benveniste) بنفيست الخطاب بأنه "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات

اشتغاله في التواصل؛ والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين، وهذا الفعل هو عملية التلفظ، وبمعنى آخر يحدد بنيفست الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[30]. من هنا و"انطلاقا من تعريف بنيفست للخطاب الذي ينظر إليه على أنه بنية كلية دلالية، تتجاوز حدود الجملة إلى وحدة أوسع يمثلها الخطاب، فإن عملية تحليله تتجاوز بنيته اللغوية الصرفة إلى النظر في كل ما يحيط به، من ظروف تتعلق بإنتاجه وتلقيه، وبعبارة أخرى يجب دراسة كل السياقات الخارجة عن بنيته اللغوية الصرفة."[31] ليوجه هذا الباحث الأنظار إلى كل ما يتعلق بالخطاب من ملابسات خارجية، من متكلم وسامع وسياق ويدرس الخطاب ضمن أقطاب العملية التواصلية. ويبرز أن هدف لسانيات التلفظ هو وصف العلاقات التي تنشأ بين الملفوظ ومختلف عناصر الإطار التلفظي بمعرفة كل من:[32]

"- المشاركين في الخطاب (المتكلم والمخاطب).

- سياق العملية التخاطبية (الظروف المحيطة بالعملية التخاطبية).

- الظروف العامة لإنتاج الملفوظ وتلقيه: طبيعة القناة، المحتوى السسيو_ ثقافي والتاريخي، قيود وعوائق العالم التخاطبي (contraintes de l'univers du discours)."

لتكون هذه الخطوة الأولى في طريق الاهتمام بملابسات تفوق مستوى الجملة الواحدة، وتحيط بعناصر خارج الإطار الداخلي للخطابات والمساهمة في تشكيله وتلقيه، من متكلم ومخاطب وسياق وكل الظروف المحيطة بهم، والتي تسمح بالوقوف على الخطاب في شتى تمظهراته، وهي عناصر لا يمكن الوقوف عندها والإحاطة بها في حدود الجملة الواحدة، غير أن أول محاولة فعلية نحو دراسة النص كانت مع "لسانيات النص" أو "لسانيات الخطاب"، لكن هذه الأخيرة قد استفادت بشكل كبير مما توصلت إليه نظرية أو لسانيات التلفظ من نتائج ومعطيات، والمصطلحان عرفا أيضا تعارضا في الكتابات العربية فانقسم الباحثون قسمان قسم فرق بين النص والخطاب فجعل كل مصطلح منهما يعبر عن اتجاه متباين في الدراسة لأن النص غير الخطاب، وقسم آخر يرادف بين المصطلحين ويعتبر المصطلحان يمثلان اتجاها واحدا لأن النص نفسه الخطاب والعكس. تطور هذا الاتجاه في الثمانينات مع كل من لفغانغ دريسلر وروبرت دي بوجراند الذي جعل العمل الأهم للسانيات النص دراسة مفهوم النصيّة التي أرسى معاييرها بقوله:" وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية (Textuality) أساسا لإيجاد النصوص واستعمالها."[33] وهذه المعايير هي: السبك (Cohesion)، الالتحام (Coherence)، القصد (Intentionality)، القبول (Acceptability)، رعاية الموقف (Situationality)، التناص (Intertextuality)، الإعلامية (Informativity). غير هذا الباحث النظرة إلى النصوص فجعل ميزتها وقوعها في "الاتصال"، مثلت هذه المرحلة أوج مراحل العناية بالنص حين اعتنت بعلاقة النص بسياق المقام وأطراف التواصل المختلفة، مع مراعاة البعد النفسي في تقسيمه لهذه المعايير جعل "معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص:(السبك والالتحام) واثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير

(الإعلامية) فهو بحسب التقدير. ولكن يظهر من النظرة الفاحصة أنه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يفهم دون التفكير في العوامل الأربعة جميعا: اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء (processing)."[34]

من هنا عُرفت لسانيات النص بأنها: " ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة، أو المرجعية، (Reference) وأنواعها، والسياق النصي، (Textual Context)، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل). وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء."[35] من هذا المنطلق جاء هذا الحقل الجديد ليهتم بدراسة النصوص المكتوبة والمنطوقة، ويقف على ما يجعل من النص نصا، والعناصر التي تحقق للنص نصيته من جوانب متعددة أهمها: الترابط، والتماسك، والإحالة، بالإضافة إلى ربطه بالسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المتكلم والمخاطب) وكل الظروف المحيطة بهم.

4. علم النص (Science du texte): أما عن اتجاه علم النص فقد نشأ نتيجة التطورات المتلاحقة التي شهدتها العلوم، وتعدد مشكلات التحليل النصي وأهدافها في الفروع المختلفة، التي كان لابد أن تتضافر لتنضوي تحت علم واحد متداخل الاختصاصات، استقر المفهوم الحديث لهذا الاتجاه في عقد السبعينيات من هذا القرن ويرى فانديك أن مفهوم علم النص، "ليس بالغ القدم، غير أنه قد ترسخ منذ عشر سنوات تقريبا، ففي المجال اللغوي الفرنسي سمي علم النص (Science du texte) وفي الانجليزية سمي تحليل الخطاب (discourse analysis)" [36]تمثلت مهمته في "وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة الأشكال التواصل واستخدام اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة".[37] اتسم بالكلية والشمول حيث ارتبط ظهوره "بظواهر ومشكلات تعالج في علوم ومناح أخرى للبحث، وخاصة في علم اللغة العام، في الدراسات الألمانية...، وفي علم الأدب، وعلم الأسلوب، وأخيرا في علم النفس وعلوم الاجتماع مثلما يكون الشأن في علم الاتصال الجماهيري... ويسري مثل ذلك أيضا على ما يسمى بتحليل المحادثة أو الحوار في الطب النفسي والعلاج النفسي وعلم الاجتماع (في إطار ما يسمى بعلم الأجناس البشرية) وفي علم اللغة أيضا منذ وقت قريب."[38] وعلى الرغم من أن مصطلح "تحليل النصوص" كان معروفا منذ فترة طويلة، وكذلك عبارة "تأويل النصوص"، خاصة في الدراسات اللغوية والنقدية، تلك التي تعنى بالوصف المحدد للنصوص الأدبية، إلا أن علم النص يطمح إلى شيء أكثر عمومية وشمولا. فهو من ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة، كما أنه من ناحية أخرى يتضمن جملة من الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات طابع علمي محدد"[39] ويسند باحث آخر خصوصية مصطلح علم النص ومجاله إلى "تفرده في التعامل مع بنية دلالية كبرى، بنية مجردة قد تركبت من أبنية صغرى، غير أنها ذات وظيفة جوهرية في التفسير، فعلم النص

يتصدى لدراسة النصوص المختلفة وأبنيتها ووظائفها بمعايير علمية مشتركة. على أن الأبنية العليا، والأبنية الدلالية الكبرى للنصوص يتميزان بخاصية مشتركة، إذ لا يتحددان بالنسبة لجمل أو لمتتالية معزولة من الجمل، وإنما بالنظر إلى النص كله، أو إلى أجزاء كبيرة منه على الأقل[40]."

5. خاتمة :

وقفنا من خلال مقالنا على تضارب المصطلحات الموضوعة للدلالة على هذا العلم والتي خرجنا بعد مناقشتها بأنها تسميات كلها تصب في نفس الهدف وهو دراسة النصوص مثل اتجاه "نحو النص" أول مرحلة للانتقال من دراسة الجملة إلى النص قامت على توسيع نظرية تشومسكي للجملة ومحاولة توسيعها لتشمل النص، والتي سرعان ما أثبتت عجزها وذلك لأن الجملة غير النص لكل منهما نظام يشتغل به ولا يمكن أن يخضعا لنفس المعالجة والتحليل، انفتحت بعدها الدراسات اللسانية على نظرة جديدة تنطلق من النص باعتباره وحدة مستقلة عن الجملة تخضع لمعايير خاصة تأخذ بالحسبان المتلقي وتضع النصوص في إطار عملية التفاعل والتواصل بين متكلم ومتلق وهي سبعة معايير كما فصلنا فيها لدريسلر ودي بوجراند عرف هذا التوجه ب"لسانيات النص". وأن "علم النص" هو نفسه "تحليل الخطاب" الأول يعزى للمدرسة الفرنسية في حين يعزى الثاني للمدرسة الأنجلوسكسونية وهو اتجاه عام يجمع كل العلوم التي اتخذت النص أو الخطاب مجالا لدراستها لغوية كانت أو غير لغوية بما فيها لسانيات النص.

إن هذه الاتجاهات الثلاث وإن بدت مختلفة المنطلقات والأسس، ولكل واحد منها خصوصية يتفرد بها عن الآخر فنحو النص يشغل جانبا من الدراسة اللسانية النصية وهو ما يتعلق بالاتساق والانسجام لأنه اتجاه لا يخرج عن البنية الداخلية النحوية والتركيبية للنصوص، مما جعله جزء غير يسير من اتجاه لسانيات النص، في حين يعد اتجاه لسانيات النص أكثر اتساعا لأنه يراعي العناصر اللغوية وغير اللغوية في الوقوف على بنية النصوص، ويتجاوز النظر في البنيات والمناحي النحوية والتركيبية إلى تحقيق غايات دلالية وتداولية تواصلية، في حين يمثل علم النص أوسع هذه الاتجاهات وأعمها وأكثرها شمولا، لأنه اتجاه تجاذبته مجموعة من التوجهات والفروع والعلوم المختلفة، اللغوية(علم اللغة العام، وعلم الأدب، وعلم الأسلوب...) وغير اللغوية(علم النفس، وعلم الاجتماع...)، الأدبية وغير الأدبية التي تهتم بالنصوص والخطابات وبتحليلها، والتي اتحدت إجراءاتها المنهجية والعملية جميعا في إطار عام ومتكامل ومتداخل الاختصاصات عرف ب"علم النص"، إلا أنها متشابهة الأهداف والغايات تصب كلها في محتوى عام لدراسة النص من حيث البنية والوظيفة والرؤى المنهجية، تمثل كل واحدة منها مرحلة من مراحل الانفتاح على وحدة أكبر من الجملة نحو النص، على هذا يمكننا اعتبارها مترادفات مفهومية مختلفة الصيغ المصطلحية.

---

6. الهوامش:

[1] فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض،1419 هـ 1999م، ص19.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2007، ص209.

[3] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1997م، ص 134-135.

[44] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص مجالات تطبيقاته، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص65.

[5] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001م، ص72.

[6] نفسه، ص74-75.

[7] ينظر نفسه، ص40.

[8]عزمي محمد عيال سلمان، علم لغة النص (من المتتاليات الجملية إلى البنية الكلية)، مجلة العلوم الإنسانية، ع28، شتاء2016، ص24.

[9] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، ص64.

[10]حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص16-17.

[11]عزمي محمد عيال سلمان، علم لغة النص (الإرهاصات الأولى وبداية النشأة)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع13، مايو 2014، ص149.

[12]فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص24.

[13]ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2009، ص186_187.

[14]السابق، ص42-43.

سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص77.

[16]تيون إيه فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، سيرة ذاتية أكاديمية موجزة، تر: أحمد صديق الواحي، ص21.

[17]محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص13.

[18]سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص135-136.

[19]نفسه، ص135.

[20]سعد مصلوح، العربية: من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري الأستاذ هارون، جامعة الكويت، 1990م، ص413.

[21]سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص136.

[22] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2000م، ص167.

[23]فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص61، نقلا عن

HEINEMANN, W. 1982. Textlinguistik heute. Entwicklung, Probleme, Aufgaben. In: Wiss p219.

[24]حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، ص17.

[25] مصطفى غلفمان، اللسانيات وتحليل الخطاب: أية علاقة؟ تساؤلات منهجية، ضمن كتاب لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، المجلد الأول، عمان، دط، 2013، ص82-83.

[26] رزيق بوزغاية، النص ونظرية التلفظ – دراسة نقدية في ضوء علوم القرآن– حوليات جامعة بشار في الآداب واللغات، ع 18، ص07.

[27] ليندة قياس، تقديم عبد الوهاب شعلان، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009، ص40.

[28]جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص40.

[29] ينظر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1997، ص 18-19.

[30] المرجع نفسه، ص19.

[31] ليندة قياس، تقديم عبد الوهاب شعلان، لسانيات النص النظرية والتطبيق، ص41.

[32] حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط2، ص99.

[33]روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص103.

[34] نفسه، ص106.

[35]صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م، ص36.

[36]تون فانديك، علم النص متدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص14.

[37]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 1992، ص229.

[38]السابق، ص14-15.

[39]السابق، ص229.

[40]سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص121.

7. قائمة المراجع:

- ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2009.
- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001م.
- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2007.
- تون فانديك، علم النص متدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001.
- تيون إيه فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، سيرة ذاتية أكاديمية موجزة، تر: أحمد صديق الواحي.
- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص.
- حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013.
- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ط2.
- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2000م.
- رزيق بوزغاية، النص ونظرية التلفظ – دراسة نقدية في ضوء علوم القرآن– حوليات جامعة بشار في الآداب واللغات، ع 18.
- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.
- سعد مصلوح، العربية: من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري الأستاذ هارون، جامعة الكويت، 1990م.
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1997م.
- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1997.

- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 1992.
- عزمي محمد عيال سلمان، علم لغة النص (الإرهاصات الأولى وبداية النشأة)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع13، مايو 2014.
- عزمي محمد عيال سلمان، علم لغة النص (من المتتاليات الجملية إلى البنية الكلية)، مجلة العلوم الإنسانية، ع28، شتاء2016.
- فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض،1419 هـ 1999م.
- ليندة قياس، تقديم عبد الوهاب شعلان، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009.
- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص مجالات تطبيقاته، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
- مصطفى غلفمان، اللسانيات وتحليل الخطاب: أية علاقة؟ تساؤلات منهجية، ضمن كتاب لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، المجلد الأول، عمان، دط، 2013.